

الهدية وأثرها في الدعوة إلى الله

إعداد

الدكتورة: الجوهرة بنت صالح بن حمود الطريفي
الأستاذ المشارك بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾^(١) ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ ﴾^(٢) ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يُطِيعُ أَمْرَهُ ۗ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾^(٣) (٤).

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان يعلمها رسول الله ﷺ أصحابه أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح حديث رقم (٢١١٨) ج ٢ ص ٥٩١، طبع دار الدعوة دار سحنون - الثانية - ١٤١٣ هـ واللفظ له؛ وأخرجها الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح حديث رقم (١١٠٥) ج ٣، ص ٤١٣، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣ هـ، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح حديث رقم (١٨٦٠) - (٢١١٨) ج ٢، ص ٣٩٩، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا هذا الدين شرعة ومنهاجاً، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(١) قال الطبري^(٢): (قد جعلنا الكتاب الذي أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ أيها الناس لكلكم: أي لكل من دخل في الإسلام وأقر بمحمد ﷺ، أنه له نبي شرعة ومنهاجاً)^(٣).

وقال ابن كثير^(٤): (أي جعلناه يعني القرآن شرعة ومنهاجاً، أي سبيلاً إلى المقاصد الصحيحة، وسنة، أي طريقاً ومسلكاً

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨ .

(٢) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وله الكتاب المشهور في أخبار الأمم وتاريخهم، وله كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن في التفسير، توفي سنة عشر وثلاث مائة (انظر: سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي ج ١٤، ص ٢٦٧، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري ج ٦، ص ٢٧٠، طبع دار الفكر ١٤٠٥هـ.

(٤) الحافظ عماد الدين إسماعيل عمر بن كثير، ولد سنة سبعمائة، له تصانيف عديدة صحب شيخ الإسلام بن تيمية، توفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ج ٢، ص ٢٣٠، ضبع المكتب التجاري - بيروت - بدون تاريخ).

واضحاً بيناً^(١).

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ مؤيداً بالقرآن ليرسم لنا الطريق، أرسله أسوة حسنة، وأمرنا أن نتبعه قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾^(٢).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاز إلى طاعته وترك معصيته ﴿ سَبِيلِي ﴾ وطريقي ودعوتي ﴿ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ويقين علم مني به ﴿ أَنَا ﴾ ويدعو الله على بصيرة أيضاً ﴿ مَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وصدقني، وآمن بي)^(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير، ج ٢، ص ٦٣، طبع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٣هـ - ١٩٨٩م).

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ج ١٣، ص ٨٠؛ وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٤٧٧.

والم تأمل في سيرة النبي ﷺ في دعوته يرى نجاحات باهرة تحققت في سنوات تعد في مقياس الزمن قصيرة، لأنه يسير وفق وحي إلهي يوجهه ويرعاه، ويصوبه سبحانه وتعالى، والدعاة وإن كانوا مأمورين بالتأسي به في دعوته يحتاجون إلى معرفة سيرته في دعوته وثمراتها لتحقيق أفضل النتائج والمتبع في سيرته ﷺ، يرى أنه استخدم الوسائل المتاحة في زمانه، ومن هذه الوسائل الهدية، التي اخترت أن أبحث فيها لبيان مشروعية الهدية، وحكمها، واستخدام النبي ﷺ لها كوسيلة دعوية ومدى تأثيرها على المدعو والدعوة، وذلك بالتأصيل الشرعي من كتاب الله وسنة النبي ﷺ لمعرفة آثارها على المدعو والدعوة، ومن ثم استخلاص النتائج والعبر لتطبيق ذلك في واقع الدعوة اليوم. هذا وقد سرت في البحث على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختياره.

المبحث الأول: الهدية تعريفها وأهميتها.

المبحث الثاني: مشروعية الهدية وحكمها.

المبحث الثالث: الهدية وسيلة دعوية.

المبحث الرابع: أثر الهدية في الدعوة إلى الله.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأسأل الله أن يبارك في الجهد وأن يوفقنا للدعوة إليه
والسير وفق منهج الله وسنة النبي ﷺ .
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء
 والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

الهدية: تعريفها وأهميتها

تعريف الهدية لغة واصطلاحاً:

الهدية لغة:

الهدية ما أُنحفتَ به يقال أهديتُ له وإليه وفي التنزيل العزيز ﴿

وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ﴾^(١).

والتهادي: أن يُهدي بعضهم إلى بعض، والجمع هدايا وهداوي وامرأة مهداة بالمد إذا كانت تهدي لجاراتها وإذا كانت كثيرة الإهداء، وكذلك الرجل مهداة إذا كان من عادته أن يُهدي^(٢).

ويدخل في معنى الهدية، الهبة والعطية، والهبة في اللغة: العطية

(١) سورة النمل، آية: ٣٥.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة (هدي) ج ٦، ص ٣٢٠، طبع دار صادر بيروت، الأولى ١٩٩٧م؛ تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي مادة (هدى) ج ٢٠ ص ٣٢٩ طبع دار الفكر ١٤١٤هـ؛ القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي ص ١٧٣٥، طبع مؤسسة الرسالة — الثانية ١٤٠٧هـ.

الخالية عن الأعواض والأغراض^(١).

والهبة في الاصطلاح: تملك العين بلا عوض^(٢).

الفرق بين الهدية والهبة:

قال ابن حجر^(٣) في التفریق بین الهبة والهدية: (تطلق الهبة بالمعنى الأخص على ما لا يقصد له بدل، وعليه ينطبق قول من عرف الهبة بأنها تملك بلا عوض، والهدية هي ما يكرم به الموهوب له)^(٤).

وقال ابن قدامة^(٥) في معنى الهبة والعطية والهدية: (وجملة

(١) انظر: المرجع السابق، مادة (وهب) ج ٦، ص ٤٩٥.

(٢) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي الشوكاني، ج ٦، ص ٩٩، نشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد بالمملكة العربية السعودية؛ التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص ٣١٩، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبع دار الريان للتراث.

(٣) أحمد بن علي بن محمد، الشهير بابن حجر نسبة إلى آل حجر، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، انتهى إليه علم معرفة الرجال وعلل الأحاديث توفي سنة ثنتين وخمسين وثمانمائة (انظر: شذرات الذهب لابن العماد، ج ٧، ص ٢٧٠).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني بتحقيق محمد فؤاد وعبد الباقي - محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، ج ٥، ص ٢٣٣، طبع دار الريان للتراث - الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٨٨م.

(٥) الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، صاحب المغني، ولد سنة أحد وأربعين وخمس مائة وتوفي سنة عشرين وستمائة (انظر، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٦٥).

ذلك أن الهبة والصدقة والهدية والعطية معانيها متقاربة، وكلها تمليك بغير عوض^(١).

وقال في تحديد معنى الهدية: (فالظاهر أن من أعطى شيئاً ينوي به التقرب إلى الله تعالى للمحتاج فهو صدقة. ومن دفع إلى إنسان شيئاً للتقرب إليه، والمحبة له، فهو هدية)^(٢).

الهدية اصطلاحاً:

(هي دفع عين إلى شخص معين لحصول الألفة والثواب من غير طلب ولا شرط)^(٣).

قال مؤلف الهدية بين الحلال والحرام عند شرحه للتعريف: (ولفظ من "غير طلب" يخرج الهدية أو الرشوة التي تطلب لغرض مقابل لها ولفظ "ولا شرط" أي ولا شرط إعانة لأن الرشوة تعطى بشرط الإعانة.....)^(٤).

(١) المغني لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة، تحقيق الدكتور عبدالله التركي والدكتور عبدالفتاح الحلو، ج ٨، ص ٢٣٩، طبع دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ.

(٢) المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٣) الهدية بين الحلال والحرام لأحمد بن أحمد الطويل، ص ١٠، مطابع دار طيبة - الرياض - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٤) المرجع السابق، ص ١١.

أهمية الهدية:

الإسلام دين يدعو إلى المحبة والألفة والأخوة فالنبي ﷺ يقول: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ^(١) ويقول ﷺ: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) ^(٢) ودعا إلى ترك ما يصاد هذه المعاني من كره وتباعد وتباغض فالنبي ﷺ يقول: (ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا ولا تدابروا) ^(٣)، وكونوا عباد الله إخواناً ^(٤) ^(٥).

- (١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ج ٧، ص ٨٠. ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم حديث رقم (٦٥) — (٢٥٨٥)، ج ٣، ص ١٩٩٩ واللفظ للبخاري.
- (٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم، ج ٧، ص ٧٧، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم حديث رقم (٦٦) — (٢٥٨٦) ج ٣، ص ١٩٩٩، واللفظ للبخاري.
- (٣) (لا تدابروا): التدابر: المعادة وقيل المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي، تحقيق عصام الصباطي. حازم محمد، عماد عامر طبع دار أبي حيان، ج ٨ ص ٣٥٨).
- (٤) (وكونوا عباد الله إخواناً): أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة، ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك، مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال (انظر: المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٥٨).
- (٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابير حديث رقم (٢٢٣) (٢٥٥٩)، ج ٣، ص ١٩٨٣.

ولتأصيل هذه المعاني الجليلة وترك ما يضادها فقد دعا إلى الوسائل التي تتحقق بها هذه المعاني، بالدعوة إلى الإحسان إلى الناس، فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ومن هذه الوسائل التي تتحقق بها معاني الأخوة والتحاب والتواد الهدية، حيث جاءت النصوص التي فيها الحث على التهادي، وبرر هذا الحث بأنها جالبة للمحبة، ومذهبة للشحناء كقوله ﷺ: **(تأدوا تحابوا وتذهب الشحناء)**^(١) وبأنها مذهب لوجر الصدر كقوله ﷺ: **(تأدوا فإن الهدية تذهب وجر الصدر)**^(٢) أي حقه وغله وغضبه.^(٣)

- (١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق باب في المهاجرة ج ٢، ص ٩٠٨، طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ. وقال ابن عبد البر: هذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها (انظر: الموطأ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج ٢، ص ٩٠٨).
- (٢) (وجر الصدر): أي غشه ووساوسه وقيل الحقد والغيط وقيل العداوة، وقيل أشد الغضب (انظر: تحفة الأحوذى لأبي العلى محمد عبدالرحمن المباركفوري، ص ١٧٣٨ طبع بيت الأفكار الدولية).
- (٣) أخرجه الإمام أحمد، ج ٢، ص ٤٠٥ طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ؛ والترمذي في كتاب الولاء والهبة. باب حث النبي ﷺ على التهادي حديث رقم (٢١٣٠)، ج ٤، ص ٤٤١. وقال السخاوي (وهو حديث جيد) انظر: (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للشيخ محمد عبدالرحمن السخاوي ص ١٩٨ حديث رقم (٣٥٢) تحقيق محمد عثمان الخشت. طبع دار الكتاب العربي - الثانية ١٤١٤هـ).

والإسلام يدعو إلى تحاب الناس وتآخيهم وتعاضدهم، من أجل الرقي بالمجتمع المسلم، ليكون مجتمعاً فاضلاً مترابطاً، كما فعل النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة وحينما شرع في بناء الدولة الإسلامية، كانت من أساسيات بناء هذه الدولة ومجتمعها أن شرعت المؤاخاة إذ شرعت في السنة الأولى من الهجرة (١).

وكان من أسباب هذه المؤاخاة أنه لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء، لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، وقد أعطى الأنصار المهاجرين كل ما يستطيعون من فضل، فأراد الرسول ﷺ أن يوجد تشريعاً يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية، ويشعرهم بأنهم ليسوا عالية على أحوالهم الأنصار لذا شرعت المؤاخاة (٢) والنبي ﷺ يتعهد أصحابه بالتعليم والتربية وتزكية النفس، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والبذل والعطاء. قال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل (٣) الناس إليه.. فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبت

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية - للدكتور مهدي رزق الله أحمد ص ٣٠٢ طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ؛ الرحيق المختوم لـ صفى الرحمن المباركفوري ص ٢١٨، طبع دار الوفاء - مصر - الرابعة ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٣٠٠ - ٣٠٢.

(٣) (انجفل الناس): أي ذهبوا مسرعين إليه (انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (جفل) ج ١ ص ٤٣٦).

وجه رسول الله ﷺ عرفتُ أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام تدخلون الجنة بسلام^(١)، فالمواساة بالمال عن طريق الهدية والهبة هي مطلب شرعي تتحقق به مطالب الإسلام بإشاعة معاني الأخوة، والبذل والعطاء.

وقد كانت الهدية إحدى وسائل تبليغ دين الله عز وجل، فالدعوة إلى هذا الدين مع عظمتها، وصدقها ووضوحها، وموافقته للفطرة لا بد أن يكون القلب الذي يدعى به إليه بالإحسان إلى الناس، إحسان قولي وفعلي، ومن الإحسان الفعلي الهدية التي لها من الفضائل ما جعل البخاري في صحيحه ييؤب كتاباً سماه (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها)^(٢) وكذلك الترمذي^(٣) بوب باباً من كتاب الولاء والهبة سماه (باب في حث النبي ﷺ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب (٤٢) حديث رقم ٢٤٨٥ ج٤ ص ٦٥٢ واللفظ له، وابن ماجه في كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام حيث (٣٢٥١) ج ٢ ص ١٠٨٣، وقال الترمذي حديث صحيح.

(٢) صحيح البخاري ج ٣، ص ١٢٨٠.

(٣) محمد بن عيسى بن سورة السلمى الترمذي، مصنف الجامع وكتاب العلل، وغير ذلك ولد سنة عشر ومائتين، ومات سنة تسع وسبعين ومائتين (انظر: سير أعلام النبلاء، ج ١٣، ص ٢٧٠).

على الهدية) (١).

وقد حفلت كتب السنة والسير بالأحاديث التي فيها حض
قولي أو فعلي على التهادي من أجل نشر دين الله عز وجل وتبليغه
للشعر.

(١) سنن الترمذي عيسى محمد بن عيسى من سورة ج ٤، ص ٤٤١، طبع دار الدعوة -
دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.

المبحث الثاني

مشروعية الهدية وحكمها

مشروعية الهدية:

لقد جاء الشرع المطهر في الحث على التهادي وقد جاءت الأدلة حاضرة على ذلك منها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (تهادوا^(١) فإن الهدية تذهب وحر الصدر ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة)^(٢).

قال في تحفة الأحوذى: (وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة، والهدية وإن كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط للمؤنة، وأسهل على المهدي لاطراح التكلف والكثير قد لا يتيسر كل وقت، والمواصلة تكون كالكثير)^(٣).

(١) (تهادوا) بفتح الدال من التهادي بمعنى المهاداة، أي ليعطي الهدية ويرسلها بعضكم لبعض (انظر: تحفة الأحوذى، ج ٢، ص ١٧٣٨).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٣) تحفة الأحوذى، ج ٢، ص ١٧٣٨.

وقال عليه السلام: (تصافحوا يذهب الغل، وتمادوا تحابوا وتذهب الشحناء) ^(١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا نساء المسلمات تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن ^(٢) شاة) ^(٣).

قال ابن حجر: (وأشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله) ^(٤).

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وثيب عليها) ^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو دعيت إلى

(١) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٢) (فرسن): بكسر الفاء والمهملة بينهما راء ساكنة وآخره نون هو عظم قليل اللحم (انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب (١) ج ٣، ص ١٢٨، ومسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره حديث رقم (٩٠) (١٠٣٠)، ج ١، ص ٧١٤.

(٤) فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٤.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب المكافأة على الهدية، ج ٣، ص ١٣٣.

ذراع أو كراع^(١) لأجبت ولو أهدي إلي ذراعٌ لقبلتُ^(٢).

قال ابن حجر: (أشار عليه الصلاة والسلام بالكراع والفرسن إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء، فحض على ذلك لما فيه من التآلف)^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت يا رسول الله إن لي جارين فألى أيهما أهدي قال: إلى أقربهما منك باباً)^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه أهديه أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل، فإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم)^(٥).

(١) (ذراع أو كراع): خص الذراع والكراع بالذكر ليجمع بين الحقير والخطير لأن الذراع كانت أحب إليه من غيرها والكراع لا قيمة له (انظر: فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب القليل من الهبة، ج ٣، ص ١٢٩.

(٣) انظر فتح الباري، ج ٥، ص ٢٣٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فمن يبدأ الهدية، ج ٣، ص ١٣٣.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب قبول الهدية، ج ٣، ص ١٣١.

وعن خالد بن عدي الجهني ^(١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشرف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه) ^(٢).

قال الشوكاني ^(٣): (قوله في حديث خالد فليقبله فيه الأمر بقبول الهدية والهبة ونحوهما من الأخ في الدين لأخيه، والنهي عن الرد لما في ذلك من جلب الوحشة، وتنافر الخواطر فإن التهادي من الأسباب المؤثرة للمحبة) ^(٤).

(١) خالد بن عدي الجهني يعد من أهل المدينة، وكان يتزل الأشعر روى حديثه أحمد وابن أبي شيبة والحرث وأبو يعلى والطبراني (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٤٠٩).

(٢) أخرجه أحمد، ج ٤، ص ٢٢١. والحديث إسناده صحيح. (انظر: الموسوعة الحديثية - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٢٩، ص ٤٥٦، رقم الحديث (١٧٩٣٦) أشرف على تحقيق هذا المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط طبع مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤١٩هـ).

(٣) محمد بن الشوكاني ثم الصنعاني ولد سنة ١١٧٣هـ له مصنفات عديدة منها شرح المنتقى، ونيل الأوطار، توفي سنة ١٢٥٠هـ (انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني، ج ٢، ص ٢١٤).

(٤) نيل الأوطار، ج ٦، ص ١٠٠.

حكم الهدية:

الهدية مندوب إليها فهي سنة غير واجبة^(١).

قال ابن قدامة: (ومن دفع إلى إنسان شيئاً للتقرب إليه والمحبة له، فهو هدية، وجميع ذلك مندوب ومحثوث عليه فإن النبي ﷺ قال: (تهادوا تحابوا) فما ورد في فضلها أكثر من أن يمكننا حصره)^(٢).

وقال القرطبي: (الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المحبة وتذهب العداوة)^(٣).

وهذا في الهدية المطلقة غير المقيدة بشرط ولم يكن ثمة غرض للمهدي سوى إكرام المهدي إليه ولا تأخذ حكم الرشوة^(٤).

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠؛ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن

أحمد القرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩، طبع دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ.

(٢) المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

(٤) انظر: الهدية بين الحلال والحرام لأحمد بن أحمد الطويل، ص ١١. وانظر: حكم بذل

الهدية مقابل الشفاعة د/ وليد الحمدان. ص ٧٧، بحث محكم نشر في مجلة العدل التي

تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية، العدد الخامس والثلاثون.

المبحث الثالث

الهدية وسيلة دعوية

لاشك أن المرید تبليغ هذا الدين، ودعوة الناس إلى الالتزام بشرع الله عز وجل لا بد أن يسلك سبيل النبي ﷺ حيث أمرنا المولى تبارك وتعالى بالتأسي به في سائر أحواله قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله) (٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣).

والتأمل في سيرته ﷺ يرى أنه استخدم أنجح الوسائل والأساليب، والتي حققت بفضل الله تبارك وتعالى نجاحاً جعل

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٣، ص ٤٥٧.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

أفئدة الناس تقبل على دين الله تعالى، وتلتزم به، ومن هذه الوسائل الهدية فقد تواترت النصوص الدالة على استخدام هذه الوسيلة، من ذلك ما جاء عن أم كلثوم بنت أم سلمة ^(١) رضي الله عنها قالت: (لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال لها: إني قد أهديت إلى النجاشي حلةً وأواقِي من مسك ولا أرى النجاشي إلا قدمات، ولا أرى إلا هديتي مردودة عليّ. فإن ردت عليّ فهي لك...) ^(٢).

وفي صحيح البخاري: (أهدى ملكُ أيلة ^(٣) للنبي ﷺ بغلة

(١) أم كلثوم بنت أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومية ربيبة رسول الله ﷺ (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٤٩٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ج ٦٠، ص ٤٠٤. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (رواه الطبراني وأم موسى بنت عقبة لا أعرفها ومسلم بن خالد الزنجي وثقه ابن معين وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج ٨، ص ٢٨٩، طبع دار الريان للتراث — دار الكتاب العربي والحديث حسنه الإمام ابن حجر في الفتح. (انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني — ج ٥، ص ٢٦٣، طبع دار الريان للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ).

(٣) أيلة: مدينة بين القسطنطينية ومكة على ساحل البحر تعد في بلاد الشام. (انظر: معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي ج ١، ص ٢٩٢ طبع دار صادر، بيروت — الطبعة الثانية ١٩٩٥م، وانظر: فتح الباري ج ٥، ص ٢٧٣).

بيضاء وكساه بُرداً وكتب له بجرهم^(١) (٢).

وعن بلال رضي الله عنه قال: (... فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشر فقد جاءك الله بقضائك" ثم قال: "ألم تر الركائب المناخات الأربع" فقلت: بلى. فقال: "إن لك ركابهن وما عليهن فإن عليهن كسوة وطعاماً أهدهن إليّ عظيم فدك" فأقبضهن واقض دينك" (٣).

ومنه ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين^(٤) فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا فإن محمداً يعطي

(١) بجرهم: أي ببلدهم. (انظر: فتح الباري ج ٥، ص ٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين، ج ٣، ص ١٤١.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفتى باب في الإمام يقبل هدايا المشركين حديث رقم (٣٠٥٥)، ج ٣، ص ٤٤١، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح

سنن أبي داود، ج ٢، ص ٥٩٠) حديث رقم (٢٦٢٨) (٣٠٥٥).

(٤) غنماً بين جبلين أي كثيرة كأنها تملأ بين جبلين (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم،

ج ٨، ص ٨١).

عطاء لا يخشى الفاقة^(١).

وفي رواية أخرى للحديث عن مسلم فقال أنس: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا. فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها)^(٢).

قال النووي عند شرحه للحديث (فما يلبث بعد إسلامه إلا سيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه والمراد أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا، لا بقصد صحيح بقلبه، ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها)^(٣).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعدٌ جالس - فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالي فقلت

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث (٥٧) (٢٣١٢)، ج ٢، ص ١٨٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً إلا أعطاه، حديث رقم (٥٨) (٢٣١٢)، ج ٢، ص ١٨٠٦.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي، ج ٨، ص ٨٢.

مالك عن فلان فوالله إلى لأراه مؤمناً فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فعدتُ لمقالي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يكبَّهُ الله في النار^(١).

قال ابن حجر: (... ومحصل القصة أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تالفاً، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفه وترك جعيلاً^(٢) وهو من المهاجرين مع أن الجميع سألوه، خاطبه سعد في أمره لأنه كان يرى أن جعيلاً أحق منهم لما اختبره منه دونهم، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطى، لأنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ج ١، ص ١٢.

(٢) جعيل بن سراقه الضمري أثنى عليه النبي ﷺ ووكله إلى إيمانه (انظر: الإصابة في تمييز

الصحابة، ج ١، ص ٢٣٩، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي، ج ١،

ص ٢٣٧، طبع مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،

١٣٢٨هـ).

(٣) فتح الباري، ج ١، ص ١٠١.

وعن عكرمة (١) (أن النبي ﷺ أهدى إلى أبي سفيان بن حرب تمر عجوة) (٢) .

ومما يدل أيضاً على قبول النبي ﷺ الهدايا ما جاء في البخاري عن أنس رضي الله عنه (أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ) (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها...) (٤) .

فقد كان ﷺ يهدي ويهدي إليه فيقبل.

وقد وقع خلاف بين العلماء حول قبول هدية المشركين وممن ناقش هذه المسألة ابن حجر في فتح الباري والشوكاني في نيل الأوطار وغيرهم وقد قال ابن حجر عند شرحه لأحاديث باب قبول الهدية من المشركين من كتاب الهبة في صحيح البخاري: (قوله "باب قبول الهدية من المشركين" أي جواز ذلك،

(١) عكرمة بن أبي جهل عمر بن هشام القرشي المخزومي أسلم عام الفتح خرج إلى قتال أهل الردة ثم كان من قادة المجاهدين في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما استشهد في أحنادين (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٤٩٦).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٢ ص ١٧٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الهبة قبول الهدية من المشركين ج ٣، ص ١٤١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين ج ٣ ص ١٤١.

وكأنه أشار إلى ضعف الحديث الوارد في رد هدية المشرك، وهو ما أخرجه موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك ورجال من أهل العلم أن عامر بن مالك الذي يدعى ملاعب الأسنه^(١) قدم على رسول الله ﷺ وهو مشرك فأهدى له، فقال: **إني لا أقبل هدية مشرك**" الحديث رجاله ثقات، إلا أنه مرسل وقد وصله بعضهم عن الزهري^(٢) ولا يصح... وفي الباب حديث عياض بن حماد قال: (أهديت للنبي ﷺ ناقة فقال: أسلمت؟ قلت: لا. قال: **إني فهمت عن زبد^(٣) المشركين**"^(٤) وأورد المصنف عدة أحاديث دالة على الجواز جمع

(١) عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب معروف بملاعب الأسنه.. له صحبة (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٢٥٨).

(٢) الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله من بني زهرة الإمام العلم، حافظ زمانه ولد سنة ست وخمسين، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة (انظر سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٢٦).

(٣) (زبد المشركين): هو الرغد والعطاء. وقال الترمذي يعني هداياهم (انظر: تحفة الأحوذى ج ١، ص ١٤٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في الإمام يقبل هدايا المشركين حديث رقم (٣٠٥٧) ج ٣ ص ٤٤٢، والترمذي في كتاب السير باب كراهية هدايا المشركين حديث رقم (١٥٧٧) ج ٤ ص ١٤٠ وقال في تحفة الأحوذى (حسن صحيح) صححه الترمذي وابن خزيمة (انظر تحفة الأحوذى، ج ١، ص ١٤٣٧).

بينها الطبري بأن الامتناع فيما أهدي له خاصة، والقبول فيما أهدي للمسلمين، وفيه نظر، وأن من جملة أدلة الجواز ما وقعت الهدية فيه له خاصة، وجمع غيره بأن الامتناع في حق من يريد بهديته التودد والمواالاة، والقبول في حق من يرجى بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام، وهذا أقوى من الأول^(١).

وقد ضعف ابن حجر قول من قال بأن القبول يحمل على من كان من أهل الكتاب، والرد على من على من كان من أهل الأوثان، وكذلك قول من قال بأن القبول من خصائصه عليه السلام، وغيره من الأمراء يمتنع ذلك له، وقول من أدعى نسخ المنع بأحاديث القبول ومن عكس ذلك فقال إن النسخ لا يثبت بالاحتمال ولا التخصيص^(٢).

أما القرطبي فقال بعد أن ذكر خلاف العلماء (المعنى فيها: أنه كان لا يقبل هدية من يطعم بالظهور عليه وأخذ بلده... وهذا أحسن تأويل للعلماء في هذا فإنه جمع بين الأحاديث، وقيل غير هذا)^(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر، ج ٥، ص ٢٧٣.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٥، ص ٢٧٣، وانظر نيل الأوطار للشوكاني، ج ٦، ص ١٠٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

أما في تحفة الأحوزي فقال بعد استعراض أقوال العلماء: (ولا يبعد أن يقال إن الأصل هو عدم جواز قبول هدايا المشركين، لكن إذا كانت في قبول هداياهم مصلحة عامة أو خاصة فيجوز قبولها، الله تعالى أعلم)^(١).

ومحصل ما انتهى إليه العلماء أن القبول يكون في حق من رجي بذلك تأنيسه وتأليفه على الإسلام، وإذا كانت هناك مصلحة عامة أو خاصة للدعوة إلى الدين والتأليف عليه، وعدم القبول إذا كان لغير هذا الغرض، كأن يكون لأجل التودد والموالة، أو من يريد بهديته الظهور على المسلمين واحتلال بلدانهم.

ومن خلال الأحاديث التي سبق ذكرها تبين أن النبي ﷺ كان يستخدم الهدية في الدعوة إلى الله عز وجل فما سئل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه كما في حديث أنس^(٢).

(١) تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي، ج ١، ص ١٤٣٨.

(٢) تقدم تخريجه ٢١.

المبحث الرابع

أثر الهدية في الدعوة إلى الله

لقد مر ذكر عدد من الأدلة التي تبين الأصل الشرعي للهدية وأنه كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، وما ذلك إلا لما للهدية من أثر كبير على النفوس بإزالة الضغائن والأحقاد، والتقرب للآخر بالمودة والزلفى، ومن فضلها أن البخاري بوب في كتابه كتاباً عنوانه (كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها).

وقد تبين في الأحاديث التي فيها الحض على التهادي آثار الهدية كما في الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ وسبق ذكره حيث ذكر من آثارها التحاب وذهاب الشحناء بقوله: (تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء)^(١).

وقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي: "تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر"^(٢) حيث أن من آثارها أنها تذهب وحر الصدر أي حقه وغيضه، وقيل العداوة وقيل أشد الغضب، وكل هذه المعاني تعد آثاراً جليلة للهدية.

(١) تقدم تخريجه ص ١٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠.

قال القرطبي: (الهدية مندوب إليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة... ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدي إليه رنة في اللقاء والجلوس) ^(١).

ومما يدل على أثر الهدية على النفوس ما جاء في قوله تعالى في سورة النمل عن ملكة اليمن حينما أرسلت هدية إلى سليمان عليه السلام لما أرسل إليها بكتاب يدعوها فيه إلى الإسلام حيث قال سبحانه ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا خُنُّ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُمْ أَهْلًا أَذَلَّةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٩.

(٢) سورة النمل، آية: ٢٩ - ٣٥.

قال القرطبي في تفسير (وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) هذا من حسن نظرها وتديبرها، أي إني أحرب هذا الرجل بهدية... (فَنَاطِرَةٌ) أي: منتظرة (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) قال قتادة: يرحمها الله أن كانت لعاقلة في إسلامها وشرورها؛ وقد علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس...^(١).

ومما يدل على أن للهدية أثراً في الدعوة إلى الله، أن الله جعل في أصناف من يستحق الزكاة المؤلفة قلوبهم، ومعناه الذين يؤلفون على الإسلام^(٢) حيث جاء في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾^(٣).

قال في كتاب الفروع في المؤلفة قلوبهم: (هم رؤساء قومهم ممن يرجى إسلامه، أو كف شره، ومسلم يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو نصحه في الجهاد، أو ذبه عن الدين)^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٣، ص ١٩٦ - ٢٠٠.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) كتاب الفروع، لـ شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي ج ٤ ص ٣٣٠ طبع مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

وقال ابن كثير: (وأما المؤلفات قلوبهم فأقسام: منهم يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد شهدها مشركاً... ومنهم من يعطي ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين جماعة من صناديد الطلقاء وأشرفهم مائة من الإبل، مائة من الإبل وقال: ((إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم))^(١) وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهبية^(٢) في تربتها^(٣) من اليمن فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس^(٤)، وعينية بن بدر^(٥) وعلقمة بن علاثة^(٦)، وزيد

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢.

(٢) بذهبية، أي بذهبة (انظر هامش محمد فؤاد عبدالباقي على صحيح مسلم، ج ١، ص ٧٤١).

(٣) (في تربتها) صفة الذهبية يعني أنها غير مسبوكة لم تخلص من تراها (انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٤).

(٤) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي الحاشعي الدارمي وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف وهو من المؤلفات قلوبهم وقد حسن إسلامه، استشهد باليرموك (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ٥٩).

(٥) عينية بن حصن بن حذيفة بن بدر كان من المؤلفات قلوبهم أسلم قبل الفتح وشهدها، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ثم عاد إلى الإسلام، عاش إلى خلافة عثمان (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣، ص ٥٥).

(٦) علقمة بن علاثة بن عوف العامري من المؤلفات قلوبهم (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٥٠٣).

الخير^(١) ، وقال: "أتألفهم"^(٢) ومنهم من يعطي لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطي ليجي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد^(٣).

فقد فصل ابن كثير في أقسام من يعطي من المؤلفات قلوبهم حيث ذكر منهم:

- من يعطي ليسلم.
- من يعطي ليحسن إسلامه ويثبت قلبه.
- من يعطي لأن في اعطائه سبب في دخول أمثاله إلى الإسلام.
- من يعطي ليدفع عن حوزة المسلمين.

نجد من خلال هذه الآية كيف اعتنى الإسلام في استخدام وسيلة مهمة هي وسيلة بذل الأموال من أجل هدف سام هو

(١) زيد الخيل بن مهلهل بن زيد الطائي وفد في سنة تسع وسماه النبي ﷺ زيد الخير، كان شاعراً خطيباً شجاعاً، مات في خلافة عمر (انظر الإصابة في تمييز الصحابة ج ١، ص ٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَالْيُ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ ج ٤، ص ١٠٨، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٤٣) (١٠٦٤) ج ١، ص ٧٤٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج ٢، ص ٣٤٩.

الدعوة إلى دين الله حتى جعلها مصرفاً من مصارف الزكاة.

وقد اختلف العلماء في المؤلفلة قلوبهم حيث قال بعض العلماء أن المؤلفلة قلوبهم كانوا في عهد النبي ﷺ أما بعد عهده فلا يوجد مؤلفلة قلوبهم^(١).

ورجح الطبري أن المؤلفلة في كل زمان فقال بعد أن ذكر الخلاف: (والصواب من القول في ذلك عندي: أن الله جعل الصدقة في معنيين: أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الإسلام وتقويته، فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه، فإنه يعطاه الغني والفقير لأنه لا يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونة للدين، وذلك كما يعطي الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله، فإنه يعطي ذلك غنياً كان أو فقيراً للغزو لا لسدّ خلته، وكذلك المؤلفلة قلوبهم يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء، استصلاحاً بإعطائهموه أمر الإسلام، وطلب تقويته وتأييده، وقد أعطي النبي ﷺ من أعطى من المؤلفلة قلوبهم، بعد أن فتح الله عليه الفتوح، وفشا الإسلام، وعز أهله، فلا حجة لمحتج بأن يقول: لا يتألف اليوم على الإسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٦، ص ١٦٢.

أعطى النبي ﷺ من أعطى منهم في الحال التي وصفت) (١).

ونتلمس هذه الآثار من خلال بعض النصوص التي تبين ذلك كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله! إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر، فقال أنس: إن الرجل ليسلم وما يريد إلا الدنيا، فما يُسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) (٢).

وكما في الحديث الذي أخرجه مسلم: عن ابن شهاب قال: (غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية. مائة من النعم ثم مائة ثم مائة).

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لا بغض الناس إلىّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ) (٣).

(١) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٦٣.

(٢) تقدم تخرجه، ص ٢١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال:

لا وكثرة عطائه حديث رقم (٥٩) - (٢٣١٣) ج ٢ ص ١٨٠٦.

ويعد الإهداء من الحوافز النفسية التي رغب بها علماء النفس من أجل حفز المتلقي على قبول ما يراد منه وهذا ما كان يستخدمه رسول الهدى ﷺ حيث كان يكثر العطاء والإهداء للمسلمين الجدد ولأصحابه كسباً لقلوبهم، وتثبيتاً لهم على الاستقامة، وإعانة لهم عند الحاجة، وكفي تعطي الأثر المطلوب في حسن العلاقة بينه وبينهم.

وقد كان استخدام النبي ﷺ لهذه الوسيلة سبباً في ترك من يراد دعوته عن سلوك مشين، ومعصية، وكم حول قلوب عدد من أعدائه من الكره إلى المحبة، وبدل مواقفهم من العداوة إلى الصداقة، وبدل سلوكهم من المعصية إلى الطاعة^(١).

فالهدية مما كان يتألف به رسول الله ﷺ الناس، لما لها من وقع في نفس المهدي له، لأنها إشعار بالاهتمام به، فالهدية تفعل ما لا تفعله الخطب والمواعظ، وتجعل القلب على أتم الاستعداد للتلقي عن المهدي، كما أنها أثير نعمة ويد لم تنزل تذكر بصاحبها، وتستحضر صفاته الحميدة، وسجياها الطيبة، كما وإيها رسول مباشر إلى القلوب يدخل إليها دون استئذان فيأسرها، ويجعل

(١) انظر: علم النفس الدعوي (دراسات نفسية تربوية) للآباء والدعاء والمرين، للدكتور عبدالعزيز بن محمد النغمشي ص ١٠٦، طبع دار المسلم - الأولى -

المشاعر تجيش بالموودة، وتستشعر بالرفق والمحبة.

وهي وسيلة تربوية ودعوية ذات أثر فعال، فكم من قلب كان ممتلئاً حنقاً وحقداً، أبدلته حباً ورضاً، وكم من صدر اشتعلت فيه نار العداوة فأطفأها لطافة الهدية، وكم من عدو صيرته صديقاً، وصديقٍ صيرته أخاً^(١).

فنجد أن من آثار الهدية:

- أنها سبب في دخول غير المسلمين إلى الإسلام.
- أنها سبب في ثبات المسلم الجديد على إيمانه.
- أنها قد تعطى لأشخاص لهم تأثير فقد يسلم أو يهتدي بهدايتهم آخرون ممن يتأثرون بهم من نظرائهم أو أتباعهم.
- أن الهدية قد تكون سبباً في الدفاع عن حوزة المسلمين، والذود عن قضاياهم.
- أن في الهدية كسباً لقلوب المدعوين، وتقبلهم من الداعية، فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.
- كما أنها تزيل حاجز النفرة بين الداعية، والمدعو، لأن الداعية

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د/ زيادة العاني، ص ٢٠٧ -
طبع دار عمار - الأولى - ١٤٢٠هـ.

دائماً ما يدعو الناس إلى أمور من المعروف قد تخالف أهوائهم، وينهاهم عن فعل منكرات قد توافق أهوائهم، وبالهدية إزالة لحاجز النفرة من الداعية، لما للهدية من وقع في نفس المهدي إليه، لأنها إشعار بالاهتمام به فتفعل الهدية ما لا تفعله الخطب والمواعظ، وتجعل القلب على أتم الاستعداد للتلقي عن المهدي، كما أنها أثر نعمة ويد لم تنزل تذكر بصاحبها وتستحضر صفاته الحميدة، فإن النفوس جبلت على حب من يحسن إليها.

● كما أن من أنواع الهدايا ما يكون فيه تعليم وتفقيه للمدعوين كالأشرطة النافعة والكتب القيمة، والرسائل والنشرات المفيدة.

● وفي الهدية من التكافل الاقتصادي والاجتماعي ما يجعل المجتمع مجتمعاً متحاباً، متآلفاً، متكاملأً يساعد بعضه بعضاً فيكون كما في الحديث: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)** ^(١) وحتى عد النبي ﷺ الهدية رزق ساقه الله للعبد كما في حديث: **(من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يردده فإنما هو رزق**

(١) تقدم تحريجه ص ١٧.

ساقه الله عز وجل إليه^(١) وهذا الأثر من تحاب المجتمع المسلم وتكافله يعد مطلباً دعوياً تتحقق به الأهداف التي دعا إليها الإسلام في أخوة المسلمين وتحابهم وتعاضدهم.

(١) تقدم تخرجه ص ١٧.

الخاتمة

الإسلام يدعو إلى المحبة والمودة والإخاء، ودعا إلى الوسائل التي تتحقق بها هذه المعاني، ومن هذه الوسائل الهدية، التي لها من الفضائل ما لا يمكن حصره كما قال ابن قدامة^(١) ولا سيما إذا كان الباعث لها هو رضاء الله سبحانه وتعالى، والدعوة إلى دينه. ومن خلال هذا البحث ظهرت لي عدد من النتائج أجمالها فيما يلي:

- الهدية هي دفع عين إلى شخص معين لحصول الألفة والثواب من غير طلب ولا شرط.
- بالهدية تتحقق مطالب الإسلام من التآخي والتحاب والتواد.
- الهدية هي إحدى وسائل تبليغ دين الله عز وجل، فالدعوة إلى دين الله مع عظمته، وصدقته، ووضوحه، تحتاج إلى أن يكون معها عند عرضها إحسان قولي، وفعلي إلى الناس، ومن الإحسان الفعلي الهدية.
- الهدية مشروعة، دل على مشروعيتها، كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ.
- حكم الهدية مندوب إليها فهي سنة غير واجبة، وهي مما

(١) انظر: المغني لابن قدامة، ج ٨، ص ٢٤٠.

تورث المحبة وتذهب العداوة.

- دل كتاب الله تعالى، وسنة النبي ﷺ على استخدام الهدية في الدعوة إلى دين الله عز وجل.
- للهدية آثار في الدعوة إلى الله عز وجل في دخول الناس إلى دين الله عز وجل، وتثبيت المسلمين الجدد على إيمانهم كما أنها عند دفعها إلى أشخاص لهم تأثيرهم قد يسلم أو يهتدي بهدايتهم آخرون وقد تكون سبب في الدفاع عن حوزة المسلمين إذا دفعت لمن يقوم بذلك، وفي الهدية كسب لقلوب المدعوين، وتقبلهم من الداعية، كما أنها تزيل حاجز النفرة التي قد تكون بين الداعية والمدعوين، وفيها من التكافل الاجتماعي والاقتصادي ما تتحقق به مطالب الإسلام من التآخي والتحاب.

التوصيات:

- إذا أردنا تحقيق نجاحات في الدعوة إلى الله عز وجل لا بد أن نكون متأسين بذلك برسول الهدى ﷺ الذي قال عنه ربه سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۗ ﴾^(١).

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

- إن في التآسي برسول الهدى ﷺ بتقديم الدعوة مع الإحسان القولي والفعلي للناس أجدى وأنفع من تقديم الدعوة مجردة. فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن الناس إليها.
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- (١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية - د. زياد العاني - طبع دار عمار - الأولى - ١٤٢٠هـ.
- (٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - طبع مؤسسة إحياء التراث العربي - بيروت - الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشيخ محمد بن علي الشوكاني - طبع مطبعة السعادة - القاهرة - الأولى.
- (٤) تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي - طبع دار الفكر ١٤١٤هـ.
- (٥) تحفة الأحوذى لأبي العلي محمد عبدالرحمن المباركفوي - طبع بيت الأفكار الدولية.
- (٦) التعريفات - لعلى بن محمد الجرجاني - تحقيق إبراهيم الأبياري - طبع دار الريان للتراث.
- (٧) تفسير القرآن العظيم - للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير - طبع مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- (٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر بن جرير الطبري - طبع دار الفكر - ١٤٠٥هـ.
- (٩) الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٨٧هـ.
- (١٠) حكم بذل الهدية - مقابل الشفاعة - د. وليد الحمدان - مجلة العدل بالمملكة العربية السعودية - العدد ٣٥.
- (١١) الرحيق المختوم - صفي الرحمن المباركفوري - طبع دار الوفاء - مصر - الرابعة ١٤٠٨هـ.
- (١٢) سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (١٣) سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سورة - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (١٤) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - دراسة تحليلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد - طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الأولى - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٥) سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي - طبع

- مؤسسة الرسالة - الخامسة - ١٤١٣هـ.
- (١٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر القرطبي -
طبع مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي -
الأولى - ١٣٢٨هـ.
- (١٧) شذرات الذهب لابن العماد - طبع المكتب التجاري -
بيروت - لبنان - بدون تاريخ النشر.
- (١٨) شرح النووي لصحيح مسلم للإمام النووي - تحقيق عصام
الصباطي - حازم محمد - عماد عامر - طبع دار أبي حيان
- الأولى - ١٤١٥هـ.
- (١٩) صحيح البخاري - للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل
البخاري - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية -
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٠) صحيح سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -
الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى -
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٢١) صحيح مسلم - الإمام مسلم بن الحجاج - تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي - طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية
- ١٤١٣هـ.

(٢٢) علم النفس الدعوي (دارسة نفسية للآباء والدعاة والمربين)
للدكتور عبدالعزيز بن محمد النغمشي - طبع دار المسلم -
الأولى - ١٤١٥هـ.

(٢٣) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري - الإمام الحافظ
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - طبع دار الريان للتراث
- القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٩هـ.

(٢٤) الفروع - شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي - تحقيق د.
عبدالله التركي - طبع مؤسسة الرسالة - الأولى -
١٤٢٤هـ.

(٢٥) القاموس المحيط - لمجد الدين الفيروآبادي - طبع مؤسسة
الرسالة - الثانية ١٤٠٧هـ.

(٢٦) لسان العرب - لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور
الأفريقي - طبع دار صادر - بيروت - الأولى - ١٩٩٧م.

(٢٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي
بكر الهيثمي - طبع دار الريان للتراث - دار الكتاب
العربي.

(٢٨) المسند للإمام أحمد بن حنبل - طبع دار الدعوة - دار
سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.

(٢٩) معجم البلدان — لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي
طبع دار صادر — بيروت — ت ١ — الطبعة الثانية،
١٩٩٥ م.

(٣٠) المغني لموفق الدين بن قدامة — تحقيق د. عبد الله التركي — د.
عبدالفتاح الحلو — طبع دار هجر — القاهرة — الطبعة
الأولى.

(٣١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على
الألسنة — ل محمد عبدالرحمن السخاوي — تحقيق محمد
عثمان الخشت — طبع دار الكتاب العربي — الطبعة الثانية
— ١٤١٤ هـ.

(٣٢) الموسوعة الحديثية — مسند الإمام أحمد بن حنبل — طبع
مؤسسة الرسالة — الأولى — ١٤١٩ هـ.

(٣٣) الموطأ — للإمام مالك بن أنس — تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي
— طبع دار الدعوة — دار سحنون — الثانية — ١٤١٣ هـ.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
٦	المبحث الأول: الهدية - تعريفها - وأهميتها
١٤	المبحث الثاني: مشروعية الهدية وحكمها
١٩	المبحث الثالث: الهدية وسيلة دعوية
٢٨	المبحث الرابع: أثر الهدية في الدعوة إلى الله
٣٩	الخاتمة
٤٢	فهرس المراجع
٤٧	فهرس الموضوعات